

من التراث الفقه لمهم الأجيال



بين التوافق ومركب النقص



من التراث الخالد لمعلم الأجيال

الكتاب العاشر: بين التواضع ومركب النقص

الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت

<http://copticlibrary.blogspot.com>

تاريخ النشر: ابريل ٢٠١٢م



مثلث الرحمت

قداسة الابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقرائها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وذهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوماً إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا العاشر في هذه السلسلة عبارة عن مقال بعنوان «مشاكلك الروحية.. التواضع ومركب النقص» نشره الأستاذ نظير جيد في مجلة مدارس الأحد عدد شهر مارس سنة ١٩٥٠م. نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلواته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت - إبريل ٢٠١٢م

مشاكلك الروحية

يقولون أن التواضع معناه أن تشعر أنك أقل من الناس جميعاً. كيف التمييز بين التواضع بهذا المعنى وبين مركب النقص؟ وكيف نجعل التواضع بمعناه الأصح منغرساً تماماً في نفوسنا على الدوام؟

الفرق بين التواضع ومركب النقص:

+ اعلم يا أخي العزيز أن هناك فرقاً واسعاً بين الشعور بالنقص ومركب النقص. أما التواضع فهو حالة يشعر فيها الشخص بنقصه ويحاول أن يسد هذا النقص بطريقة سليمة، وهكذا يرقى شيئاً فشيئاً في مدارج الكمال. وكلما ينمو في حياة النعمة كلما يتسع أفقه الروحي، وكلما يشعر أن هناك حالات أسمى من حالته، فيزداد شعوره بنقصه ويستمر هكذا، لأنه يقارن حالته دائماً بالكمال الذي يدعونا إليه السيد قائلاً «كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل».

+ أما مركب النقص فهو أن يشعر الشخص بنقصه، ثم يعمل على سد هذا النقص بنقص آخر فيصبح نقصه مركباً. مثال ذلك الشخص الذي يشعر بقلة علمه فبدلاً من أن يدرس ليتعلم، نراه إما أن يحاول إقناع كل من يعرفه بفساد العلم وغرور المتعلمين، وإما أن يدعي العلم ويظل في كل مناسبة وغير مناسبة يعدد أمام الناس ما قرأه من كتب وما ألفه من بحوث، وقد يستشهد في كلامه بعبارات لعلماء أو فلاسفة لا يعرف عنهم شيئاً ولم يقرأ لهم حرفاً، مما يثير سخرية الناس بكلامه.

+ قد يكون السبب الذي يدعو إلى مركب النقص عيباً مادياً كال فقر أو ضعف المركز الاجتماعي، أو جسمانياً كدمامة الخلق أو قصر القامة. أما الشخص المتواضع فإنه لا يأبه كثيراً لمثل هذه الأمور لأنه لا يعتبرها من مقاييس الكمال الروحي الذي ينشده ليسد به نقائصه الروحية.

بين التواضع ومركب النقص

+ صاحب مركب النقص يحاول باستمرار أن يخفي عيوبه حتى لا يراها أحد، ولذلك قد يلجأ إلى طرق من الادعاء أو الرياء أو التصنع أو المبالغة. أما المتواضع فإنه لا يخفي عيوبه عن الناس، بل إنه كثيراً ما يصرح أمام الجميع بضعفه ونقصه وخطئه طالباً منهم أن يساعده أو يصلوا من أجله.

+ إذا جابهت صاحب مركب النقص بنقصه ينفعل أو يضرب أو يدافع عن نفسه بكافة الوسائل أو يحاول تغيير مجرى الحديث أو يغادر المكان، أما المتواضع فإنك إذا حدثته عن أخطائه لا يتضايق مطلقاً. وإنما قد يشكرك لأنك عرّفته بناحية فيه تحتاج إلى علاج.

+ صاحب مركب النقص - إذا لم يكن مكابراً أو مدعياً- تراه يخجل من الناس وقد يبتعد عنهم وينفر من مجالسهم، أما المتواضع فإنه يخجل من الله وليس من الناس، ولذلك فهو لا يخاف المجتمعات ولا يرى مانعاً من الاندماج

بالناس مع شعوره في داخل نفسه بأنه قد يكون أقل منهم جميعاً.

+ صاحب مركب النقص يحاول أن يعوض نقصه أمام الناس ولذلك فتعويضه ظاهري. أما المتواضع فإنه يعمل على تعويض نقصه ولكن داخلياً. وربما لا يشعر الناس مطلقاً أنه قد تغير أو تحسن بينما يكون في الواقع قد وصل بينه وبين الله إلى درجات عالية من النعمة.

+ صاحب مركب النقص يشعر بعجزه عن سد نقصه أو معالجته معالجة سليمة، أما المتواضع فإنه يشعر بأن نقائصه -رغم وقوعه فيها- هي نقائص ضعيفة جداً كان بإمكانه أن يقاومها وأن ينتصر عليها ولكنه لم يفعل وهذا هو سبب ندمه.

+ في شعور صاحب مركب النقص بعجزه عن سد نقصه قد يدركه اليأس من إصلاح حاله ويستولي عليه التردد

بين التواضع ومركب النقص

والحيرة وعدم الثقة بالنفس وانقسام الشخصية. أما المتواضع فإنه رغم شعوره بنقصه لا يوجد فيه شيء من هذه الأمراض النفسية، إنه لا يعرف اليأس لأنه يشعر دائماً أن الله معه يثبته ويقويه ويعطيه سلطاناً على جميع الشياطين، ولذلك فهو شخص واثق من نفسه، ليس اعتماداً على قوته الشخصية وإنما على المعونة التي تأتيه من فوق.

+ صاحب مركب النقص يخاف أحياناً من الناس أن يعيروه بنقصه، ولذلك قد يلجأ إلى تملقهم، أو قد يناقشهم ثم يرتبك أثناء النقاش أو يتردد أو يسحب آراءه شاعراً بضعفه. أما المتواضع فإنه رغم شعوره بنقصه شجاع لا يتملق الناس وإنما يقول رأيه في حرية وجرأة.

+ صاحب مركب النقص يكبر أخطاء الآخرين ويقسو في حكمه عليها، بل قد ينتقد الآخرين وينسب إليهم أخطاء ليست فيهم محاولاً بكل ذلك أن يوجد شيئاً من التوازن

بين حاله وحالهم. أما المتواضع فإنه لا يفعل ذلك، بل إنه على العكس في الوقت الذي يقسو فيه جداً على نفسه قد يعذر الآخرين مقدراً ظروفهم وشاعراً بأنه ربما لو كان في مكانهم لأخطأ مثلهم.

+ صاحب مركب النقص يلذ له أن يجلس مع طبقة أقل منه، وإذا جلس مع طبقة أعلى منه فإنه يحاول أن يتسلط عليها أو يتظاهر أمامها بما ليس فيه وإذا دفع إليه عمل فيه رئاسة أو إدارة يستغلها إلى أبعد حدود الاستغلال لعله بمظاهر العظمة يغطي نقصه. أما المتواضع فإنه غير ذلك طبعاً.

+ صاحب مركب النقص قد يحسد الذين ليست فيهم عيوبه أو الذين هم أعلى منه، ويتمنى لو كانوا في مثل حاله، أما المتواضع فإنه يصادق من هم أعلى منه ويحبهم ويفتخر بهم ويستفيد منهم وقد يتخذ منهم مرشدين له وناصحين.

كيف تصل إلى التواضع

+ لا تمدح ذاتك مطلقاً ولا تتحدث عن نفسك حديثاً يرفع قدرك أمام الناس.

+ في تأملاتك لا تحاول أن تتذكر فضائلك، وإنما تذكر عيوبك ونقائصك، وإن تذكرت عملاً حسناً قد فعلته، فأعرف أن السبب فيه هو الله وليس أنت. وأنت مجرد آلة، وإن العمل كان ممكناً أن يتم على يدي غيرك وربما بصورة أفضل، واشكر الله لأنه قبل أن يستخدم في عمله شخصاً خاطئاً مثلك في ماضيه وحاضره.

+ اقرأ سير القديسين والمثل العليا في حياة النعمة وقارن بها حالتك تشعر أنك لم تفعل شيئاً.

+ اقرأ أمثلة عن التواضع والمتواضعين في الكتب الروحية.

+ لا تحتقر الخطاة ولا تحسب أنك أفضل منهم. اعرف

أنك ربما لو وجدت في مثل ظروفهم لأخطأت أكثر منهم.

التمس عذراً لهم ولا تلتمس عذراً لنفسك. اعرف أن خطاياهم ربما تكون عن جهل أو ضعف بينما أخطائك عن معرفة واصرار. والأفضل ألا تفكر مطلقاً في انهم أخطأوا.

+ إذا وجدت شخصاً خاطئاً فابك على نفسك، اعرف أن الشيطان الذي هزم أخاك ربما يهزمك أنت أيضاً. صل ليعطيك الله قوة ويعطي أخاك أيضاً، فكهذا كان يفعل أنبا يوحنا القصير.

+ حدد أوقات تحاسب فيها نفسك، ولتكن صارماً قاسياً في معاملتك لنفسك، حاسبها على أخطاء العمل والقول والحس والفكر، وعلى الفضائل التي قصرت فيها، وعلى وقوف نموك.. مثل هذه المحاسبة تجلب لك التواضع لأنها تشعرك بنقصك.

+ أكثر من العمل في الخفاء. وتأكد في الأعمال الحسنة التي تعملها أن تبعد ارضاء الناس أو نوال مدحهم عن فكرك.

لا تجعل أحداً يأخذ عنك فكرة حسنة.

+ لا تقبل تطويب الناس لك. وان تكلم أمامك شخص عن أعمالك الطيبة فغير مجرى الحديث بسرعة، واشعره بضعفك في غير تمثيل.

+ إذا مدحك أحد، ففكر في نفسك أنك ربما تكون مرئياً، تظهر أمام الناس بصورة حسنة بينما أنت خاطئ جداً. فكر أنك ربما تكون مهتماً بتنظيف خارج الكأس بينما داخله متسخ جداً.

+ لا تصور في خيالك مشروعات عظيمة ممكن أن تقوم بها لو أعطيت سلطة كافية. أشعر بأنك ضعيف وأن المسؤوليات الخطيرة أكبر منك. وأن الله مستعد أن يستخدم صياداً جاهلاً ليقوم بتلك المشروعات العظيمة خير من متكبر مثلك.

+ تذكر أصلك الترابي وكيف أنك شيء حقير في ملك

الله، واعرف أن كل عظمة تدعيها لنفسك إنما تسرقها من الله لأنه وحده مستحق كل عظمة.

+ تذكر احسانات الله إليك وكيف أنك نسيتها.

+ اعتقد أن مالك من علم أو غنى أو شهرة أو منصب،

كل ذلك باطل وقد فاقك فيه كثيرون وهلكوا في خطيئتهم.

+ إذا أهنت أو شُتمت فأعرف أنك تستحق أكثر من

هذا، وأن الله ربما يكون قد استخدم من أهانك لكي يعرفك ذاتك ويحد من كبريائك.

+ لا تدافع كثيراً عن نفسك محاولاً تبرير ذاتك باستمرار.

+ عامل الصغير مثلما تعامل الكبير بل وبأكثر حنان

واحترام. تأدب في حديثك مع الخادم والفراش والعامل

والكناس، وفكر في أنه ربما توجد فيهم فضائل لا توجد

عندك وأنه ربما يكون لهم نصيب أليعازر وأنت نصيب

الغني..

بين التواضع ومركز النقير

+ إذا وجدت في مركز كبير، أو إذا وضعت في يدك سلطة أو مسئولية، فلا تغتر بمواهبك، أشعر أنك ضعيف جداً، وأن الله إذا لم يعمل بدلاً عنك فستفشل كل الفشل ولا تستطيع أن تعطي حساباً عن وزناتك.

+ تأمل في محبة الله للمتواضعين وفي اختياره لهم لمشاركته في أعماله التي يعملها، الله «الساكن في الأعلى والناظر إلى المتواضعات»..

+ كن منسحقاً ومتذللاً أمام الله في صلاتك، وفي ذهابك إلى الكنيسة وفي تناولك من الأسرار المقدسة، وفي كل عمل روحي ومادي.

+ اعمل كل هذا في غير رياء، وإذا عملت كل هذا فلا تحسب أنك متواضع وإنما أشعر أن هذا هو الوضع الأصلي، وانك لم تنقص شيئاً من قدرك، لأنك تراب وهل للتراب قدر.



المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الإنترنت
<http://copticlibrary.blogspot.com>